**\*الإتباع اللّفظيّ:**

يراد بالاتباع اللّفظيّ: أنْ تَتْبـَعَ الكلمةُ الكلمةَ على وزنـها ورويِّها إشباعا وتأكيدًا، نـحو: (حَسَنٌ بَسَنٌ)، و(حارٌّ يارٌّ)، و(صَقِرٌ مَقِرُ)[[1]](#footnote-1)، و(شِذَرٌ مِذَرٌ).

وقد وقف اللّغويون القدامى عند هذه الظّاهرة في أثناء مصنفاتـهم كابن دريد -المتوفّى سنة321للهجرة- في معجمه جمهرة اللّغة، وأبي عليّ القالي -المتوفّى سنة356للهجرة- في كتابه في الأمالي، وابن سيده المتوفّى سنة458للهجرة- في معجمه الـمخصّص، ومنهم مَن أفرد لـها كتابًا مستقلًّا؛ ككتاب (الإتباع) لأبي الطّـيّب اللّغويّ المتوفّى سنة351للهجرة-، وكتاب (الإتباع والـمزاوجة) لابن فارس -المتوفّى سنة395للهجرة-

وكان أبو عبيد -المتوفّى سنة224للهجرة- يذهب إلى أنّ الإتباع "إنّـما سُـمِّيّ إتباعًا؛ لأنّ الكلمة الثّانية إنّـما هي تابعة للأولى على وجه التّوكيد لـها، وليس يُتَكَلَّم بـها منفردة، فلهذا قيل: اتباع".

ويرى ابن قتيبة -المتوفّى سنة276للهجرة- أنّ الإتباع في الأصل توكيد بتكرار اللّفظ، لكنّ العرب كرهت أنْ يتطابق اللَّفظان؛ لذلك أبدلت صوتًا من أصوات اللَّفظ الثّاني بصوت آخر، قال: "وربَّـما جاءت الصِّفة فأرادوا توكيدها، واستوحشوا مِن إعادتـها ثانية؛ لأنَّـها كلمة واحدة، فغـيّروا منها حرفًا، ثـمَّ أتبعوها الأُولى، كقولـهم: (عطشان نطشان)، كرهوا أنْ يقولوا: (عطشان عطشان) فأبدلوا مِن العين نونًا".

ويـمكن تشبيه اللّفظ التّابع مـمّا ليس فيه معنى في نفسه ولايرد وحده في اللّغة بالعربة التي يـجرّها حصان، أو التي تـجرّها سيّارة، أو التي يـجرّها قطار، فالـحصان والسّيّارة والقطار يُشْبِه كلّ واحد منها اللَّفظ الـمتبوع، فكلاهـما يـجرّ تابعه إلى الـجهة التي يريدها، فالأوّل يسحب العربة إلى الـجهة التي يريدها قائد الـحصان، أو السَّـــيَّارة، أو القطار، والثّاني يوجّه التّابع إلى الـمعنى الذي يرغب الـمتكلِّم في تقويته وتأكيده عند الـمتلقّي.

ولابأس بالتّنبيه على أنّ الانسجام الصّوتيّ بين التّابع والـمتبوع في أُذن الـمتلقّي يكمن وارءه غرض مهم يرمي إليه الـمتكلِّم، فهو يسعى إلى تقوية الـمعنى وتعضيدة فقد "روي أنَّ بعض العرب سُئِل عن ذلك، فقال: هو شيء نَـتِد به كلامنا".

ولانستطيع القطع بـخلو الألفاظ التّابعة من أيّ مضمون، فليس بعيدًا أنْ تكون لـها "معان لـم تتجلَ أمام النَّاس حقائقها؛ لانتسابـها إلى لـهجات عربية شتّى".

وإذا أخذنا بالرّأي الذي يذهب إلى أنّ الكلمة التّابعة كانت في البدء لا تـحمل دلالة معينة فإننا سنسلم بأنّ مـجاورتـها للكلمة الـمتبوعة أضفى عليها معنى الكلمة الـمتبوعة بالتّدريج.

ويقع الإتباع في الأسـماء والأفعال:

وقد ذهب أبو الطّــيّب اللّغويّ إلى أنّ الإتباع الاسـمي قسمان:

الأول: أنْ يكون التّابع متّصلًا بالـمتبوع، وليس له معنى، ولا يـجيء منفردًا، نحو: (حَسَنٌ بَسَنٌ)، و(حارٌ يارٌ)، ويكثر أنْ تكون الكلمة التَّابعة مبدوءة بـميم، نـحو: (صَقِرٌ مَقِرٌ)، و(شِذَرٌ مِذَرٌ).

والثّاني: أنْ يكون التّابع متّصلًا بالـمتبوع، وله معنى، ولا يـجيء منفردًا أيضا، نحو: (عطشانُ نطشانُ)، و(شيطانٌ ليطانٌ).

وذهب أبو الطَّيِّب اللُّغويّ إلى جواز الفصل بين التَّابع والـمتبوع بالواو إذا كانا فعلين، نحو: (حَيَّاك وبَيَّاك) في قولـهم: (حَيَّاك اللهُ وبَيَّاك)، و(يَلِيق ويَعِيق) في قولـهم: (ما يَلِيق بك الـخيرُ وما يَعِيق)، في حين يرى غيره من اللّغويّين أنَّ الكثير في الإتباع أنْ يكون بغير واو العطف، والقليل فيه أنْ يكون بواو العطف؛ لذلك اختلفوا في كون (بَيَّاك) إتباعًا لـ(حَيَّاك) في حديث: أنّ الـملائكة قالت لآدم -عليه الصّلاة والسّلام-: (حَيَّاك الله وبَيَّاك)، فمعنى (حَيَّاك): سَلَّمَ عليك.

وذهب بعضهم إلى أنّ (بَيَّاك) اتباع لـ(حَيَّاك).

وأمَّا الذين لـم يقولوا بالإتباع فيها، فقد ذكروا أنّ (بَيَّاك) معناه: بَوَّأَك منزلًا عظيمًا ثـمّ خَفَّفوا الـهمزة، وأبدلوا الواو ياءً.

وقيل إنّ معنى (بَيَّاك) قَــرَّبَك، وأنشدوا:

بَــيَّـا لـهم إذْ نَزَلُوا الطَّعاما

أي: قَرَّبَه.

وقيل إن معنى (بَيَّاك) أَضْحَكَكَ؛ لأنَّ آدم -عليه السّلام- حزن زمنًا على ولده هابيل فأَوحى الله -تعالى- إليه: (حَيَّاك الله وبَيَّاك)، أي: أَضْحَكَكَ.

واختلف اللّغويّون في كون (بِـلٌّ) إتباع لـ(حِلٌّ) في حديث العبّاس في شأن زمزم: (لَسْتُ أُحِلُّها لِـمُغْتَسِلٍ، وهي لشاربٍ حِلٌّ وبِـلٌّ)، فقد ذهب بعضهم إلى أنّ (بِـلٌّ) إتباع لـ(حِلٌّ).

وأمّا الذين لـم يقولوا بالإتباع، فقد ذكروا أنّ معنى (بِـلٌّ): شفاء، مِن قولـهم: بَلَّ مِن مرضه وأَبَلَّ.

وقيل: إنّ (بِـلٌّ) هو الـمباح بلغة حِـمْيَر.

ولايكون اللّفظ عندهم إتباعًا؛ لـمكان الواو.

1. ويكون في وصف الرّطب فيقال: (هذا رطب صَقِرٌ مَقِرٌ)، إذا كان منقوعًا في عسل التّمر. [↑](#footnote-ref-1)